University of Zawia - Faculty of Arts Journal (UZFAJ)
Volume 24, Issue 1, (2024), pp. 1-14, ISSN: 2521-9235

The Significance of Advancement and Delay in Grammatical Construction

Al-Bashir Al-Jahmi

Arabic Language Department, Faculty of Education, University of Sabratha

Sabratha, Libya
Email: albasheer.amhimmid@sabu.edu.ly

Received 01/06/2024 | Accepted 22/06/2024 | Available online 08/09/2024 | DOI: 10.26629/uzfaj.2024.01

ABSTRACT

The topic of submission and delay remains one of the topics that the scholars dealt with presentation and analysis to determine the extent of the courage of the Arabic language in deviating from the familiar that came in their structure. However, the researcher's goal is to make it clear that this deviation from the usual was not a kind of random knocking; but he had justification, and he had reasons necessitated by the expression, the place, or the race in which the change he was talking about came about As we know, the purposes of grammar, rhetoric, and other sciences developed by our scholars; Rather, the first obsession behind it was the service of the Arabic language to preserve it from the intruder, the sick, and what taints the correct expression, and therefore it was all in the service of the Noble Qur'an in terms of: understanding its interpretation, and preventing Entrance to him.

Keywords: introduction, delay towards eloquence, meaning, purpose.

Articles published in *Univ Zawia Faculty Arts J* are licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

دلالة التَّقديم والتَّأخير في البِناء النَّحوي

البشير الجهمي

قسم اللغة العربية ـ كلية التربية ــ جامعة صبراتة
صبراتة –ليبيا
Email: albasheer.amhimmid@sabu.edu.ly

تاريخ الاستلام:2024/06/01 تاريخ القبول:2024/06/22 تاريخ النشر: 2024/09/08م

ملخَّص البحث:

يبقى موضوع التقديم والتأخير من الموضوعات التي تناولها الدارسون بالعرض والتحليل للوقوف على مدى شجاعة اللغة العربية في الخروج على المألوف الذي جاء في تركيبهم؛ غير أنَّ هدف الباحث هو: توضيح أنَّ هذا الخروج على المعهود لم يكن ضربا من الخبط العشوائي؛ ولكن كان له ما يبرره، وكانت له دواعٍ افتضاها التَّعبير أو المقام أو السِّياق الذي يريده المتحدث أو الكتب من وراء إرسال فكرته إلى المخاطب.

وكما نعرف فأغراض النحو والبلاغة وغيرها من العلوم التي وضعها علماؤنا؛ إنّما كان الهاجس الأول من وراءها هو: خدمةً اللغة العربية للحفاظ عليها من (الدخيل، والسَّقيم، وممَّا يشوب التَّعبير السَّليم)، وبالتَّالي كانت هذه الدواعي التي تراعي السياق، وحال المخاطب كلُّها في خدمة القرآن الكريم من حيث: فهم تفسيره، ومعرفة الأسباب التي دعت إلى تقديم مفردات اللغة وتأخيرها داخل التركيب.

الكلمات المفتاحية: تقديم–تأخير–نحو–بلاغة – دلالة – غرض.

مقدمة:

يُعدُّ التقديم والتأخير من المباحث المشتركة بين علمي النحو والمعاني، التي. وهو من الموضوعات التي تناولها الدارسون بالعرض والتحليل لإظهار مدى شجاعة اللغة العربية في الخروج عن النمط المألوف الذي جاء في تركيبهم؛ ولكن هذا الخروج على المعهود لم يكن ضربًا من الخبط والعشوائية، بل له ما يبرره من المعاني والأغراض. وهو باب تتبارى فيه الأساليب، وتظهر فيه مواهب القدرات، والدلالة على التَّمكن في الفصاحة، وحسن التَّصرف في الكلام، ووضعه الوضع الذي يقتضيه المعنى.

الهدف:

يمثّل التقديم والتأخير ظاهرةً مهمّة لا يمكن تجاوزها في النحو العربيّ وهولا ينحصر في مخالفة عناصر التركيب ترتيبها الأصليّ فيتقدم ما الأصل فيه أن يتأخّر ويتأخر ما الأصل فيه ان يتقدم فحسب، وإنّما له

أغراض، ومواضع، وحالات تتباين باختلاف التراكيب اللُّغوية، والمدلولات اللفظية في كلٍّ من الجملتين الاسمية والفعلية؛ ولذلك كان هدفي من البحث هو: لفت انتباه القارئ إلى أنَّ للتقديم والتأخير فوائد جمَّة، تُعبِّر عن مدى سعي العربية إلى تحصيل جمال التَّعبير والصياغة قبل كل شيء وأنَّه يهدف إلى توضيح العلاقة المشتركة بين علمي النحو والمعاني؛ لأنَّه يبحث في بناء الجُمل، وصياغة العبارات، وتأمل التراكيب، بقصد: ابراز ما يمكن من أسرار، ومزايا تربط علم النحو بعلم المعاني.

المنهجية: دراسة وصفية تحليلية.

المبحث الأول: التقديم والتأخير.

إن للتقديم والتأخير ميزة تتسم بها العربية؛ إذ تتميز المفردات فيها بحرية الحركة، والمرونة، في التنقل داخل التركيب اللغوي مع المحافظة على المعنى؛ حيث تتنوع ظاهرة التقديم لتغير السياق، وحاجة المقام، ثُم هذه الظاهرة أخذت طابع التأخير والتقديم في تغير دلالتها تبعاً لتغير السياق، وحاجة المقام، وهو من الموضوعات التي تُعدُّ من الأبحاث المهمة في علم النَّحو البلاغة، ومعرفته تجعل المتعلم قادراً على تذوق المعاني الجديدة التي تنطوي عليها الجُمل.

تعريف التقديم والتأخير.

التَّقديم والتَّأخير: هو التّغيير في التّرتيب الطبيعيّ لأجزاء الجملة؛ لغرض بلاغيّ كزيادة الاهتمام، أو القصر، أو التّشويق، أو لضرورة شعريّة، كقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة، الآية: (5)] ، (عمر، ط/1، مادة: ق.م) وقيل: هو أحد أساليب البلاغة، فإنَّهم أتوا به دلالة على تمكُّنهم في الفصاحة، وملكتِهم في الكلام، وانقياده لهم وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق، وقد اختلف في عَدِّه من المجاز، فمنهم: من عَدَّهُ منه؛ لأنَّه تقديم ما رتبته التأخير، كـ(المفعول، وتأخير ما رُتبته التقديم، كالفاعل) نقل كل واحد منهما عن رُتبته وحقَّه. والصحيح: أنَّه ليس منه، فإنَّ المجاز هو: نقل ما وُضِعَ له إلى ما لم يوضعْ. (الزركشي، تج233/3) واعلمْ أنَّ تقديمَ الشيء على وجهينِ:

الوجه الأول–تقديمٍ، يُقالُ: إنه على نيَّةِ التأخير، وذلك في كلَّ شيءٍ أقررْتَه معَ التقديمِ على حُكمهِ الذي كان عليه، وفي جنسهِ الذي كانَ فيه، كـ (خبرِ المبتدأ إذا قَدَّمْتَه على المبتدأ، والمفعولِ إذا قدمتَه على الفاعل) كقولك: (منطلقٌ زيدٌ، وضربَ عمراً زيدٌ) معلومٌ أنَّ(منطلق وعمراً) لم يَخرجا بالتقديم عمَّا كانا عليه من كونِ هذا (خبرَ مبتدأ ومرفوعاً بذلك) وكونِ ذلك (مفعولاً ومنصوباً من أجله) كما يكونُ إذا أخَّرتَ.

الوجه الثاني–تقديمٍ لا على نيَّةِ التأخيرِ؛ ولكنْ على أن: تنقلَ الشيءَ عن حُكمٍ إلى حكمٍ، وتجعل له باباً غيرَ بابهِ، وإعراباً غيرَ إعرابهِ؛ وذلك أن تجيءَ إلى اسمينِ: يحتملُ كلٌّ واحدٍ منهما أن يكونَ (مبتدأً ويكونُ الآخرُ خبراً له) فتقدمُ تارةً هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا، ومثالُه: ما تصنعُه بزيدٍ والمنطلقِ، حيث تقولُ: (مرةً زيدٌ المنطلقُ) وأخرى (المنطلقُ زيدٌ) فأنتَ في هذا لم تقدِّم المنطلقَ على أن يكونَ

مَتروكاً على حُكْمِهِ الذي كان عليه معَ التأخير، فيكونُ (خبرَ مبتدأ) كما كانَ؛ بل على أنَّ تنقُّلَه عن كونهِ خبراً إلى كونهِ مبتدأ، وكذلك لم تؤخِّر (زيداً) على أن يكون(مُبتدأ) كما كان؛ بل على أن تُخرجَه عن كونِه (مبتدأ) إلى كونِه (خبراً) وأظهرُ من هذا قولُنا: (ضربتُ زيداً، وزيدٌ ضربتُه) لم تقدم (زيداً) على أن يكون (مفعولاً منصوباً بالفعل) كما كان؛ ولكن على أن ترفعَه بالابتداءِ وتُشغلَ الفعلَ بضميرِه، وتجعلَه في موضعِ الخبرِ له. (الجرجاني ط/3، 106/1) وإذْ قد عرفتَ هذا التقسيمَ، فإنّي أُتبعُه بجملةٍ من الشرح في المطلب الثاني.

الخلاصة: نخلص إلى أن التقديم والتأخير هو: نقل لفظ عن رتبته في نظام الجملة العربية؛ فرتبة الفاعل قبل المفعول، والمبتدأ قبل الخبر، فإذا جاء الكلام على عكس ذلك؛ قيل: إن فيه تقديمًا وتأخيرًا.

آراء العلماء:

لقد تعرض علماء النحو، والبلاغة، والتفسير، لموضوع سبيي (التقديم والتأخير) في تعريفاتهم، ووردت عنهم أخبار في هذا الخصوص، تؤكد وجود هذا الأسلوب في القرآن، والحديث، والشعر، والنثر، بقصد الكشف عن شيء من أمره، نذكر من ذلك:

أولا–سيبويه (الحارثي ط/15، 81/5، خلكان، ط/1، 464/3) : لقد ذكر في كتابه أنَّ سبب التقديم (مقصور على العناية، والاهتمام بشأن المُقدَّم) يظهر ذلك من خلال قوله: إذا قدمتَ المفعولَ وأخَّرتَ الفاعل جرى اللفظُ كما جرى في الأوّل، وذلك قولك: ضَرَبَ زيداً عبدُ الله؛ لأنّك إنَّما أردت به مُؤخّرا ما أردت به مقدَّمًا، ولم تُرد أن تَشغلَ الفعل بأوَّلَ منه، وإنْ كان مؤخراً في اللفظ. فَمن ثمَّ كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدَّما، وهو عربيٌّ جيِّد كثير، كأنّهم إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أغنى، وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم.

ثانيا–وقال عبد القاهر الجرجاني (الجرجاني 1978، تح48/3، قاضي شهبة، ط/1، تح149/5) : هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يزالُ يفتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفضي بكَ إلى لطيفةٍ، ولا تزالُ ترى شِعراً يروقُك مسمَعُه، ويَلْطُف لديك موقعُه، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أنْ راقك، ولُطف عندك، أن قُدِّم فيه شيء، وحُوِّل اللّفظُ عن مكانٍ إلى مكان (الجرجاني، ط/1، 96/1)...

ثالثا–الزركشي (الأدنه وي، ط/1، 302/1) : هو أحد أساليب البلاغة فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق. وقد اختلف في عدة من المجاز، فمنهم من عده منه؛ لأنه تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول، وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل، نقل كل واحد منهما عن رتبته وحقه.

والصحيح: أنه ليس منه؛ فإن المجاز: نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع (أبو عبد الله، 1391، 233/3).

رابعا–أما ابن عاشور (للزركلي، 174/6)، فقال: إن للتقديم والتأخير في وضع الجمل وأجزائها في القر دقائق عجيبة كثيرة لا يُحاط بها، وسَنُنَبِّهُ على ما يَلُوحُ منها في مواضعه–إن شاء الله. وإليك مثلا من ذلك كون لك عونا على استجلاء أمثاله، نحو: قوله تعالى:﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾إلى قوله تعالى:﴿ إِ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا، حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴾،(من سورة النبأ، الآية: (21) وكذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا، لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾ (من سورة النبأ الآية: (34). فكان للابتداء بذكر (جهنم) ما يفسـ (المفاز) في قوله: (إن للمتقين مفازا) أنَّه الجنة؛ لأنَّ الجنَّة مكان فوز، ثُمَّ كان قوله: (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) ما يحتمل لضمير (فيها) من قوله: (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) أن يعود إلى (كأسا دهاقا) وتكون (في) للظرفية المجازية، أي: الملابسة أو السَّببية؛ أي: لا يسمعون في ملابسة شرب الكأس ما يعتري شاربيها في الدنيا من اللَّغو واللَّجاج ، وأن يعود إلى (مفازا) بتأويله باسم: مؤنث، وهو (الجنَّة). وتكون (في) للظرفية الحقيقية؛ أي: لا يسمعون في الجنَّة كلاما لا فائدة فيه ولا كلاما مؤذيا، وهذه المعاني لا يتأتى جميعها إلاَّ بجمل كثيرة لو لم يُقدِّم ذكر (جهنم) ولم يُعقِّب بكلمة (مفازا) ولم يُؤخر (وكأسا دهاقا) ولم يُعقِّب بجملة (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) .

وهكذا فإنَّ للأشياء مراتب في (التقديم والتأخير)؛ إمَّا بالتفاضل، أو بالاستحقاق، أو بالطبع، أو على حسب ما يوجبه المعقول، فتحكم لكل واحد منها بما يستحقه، وإن كانت لم توجد إلاَّ مجتمعة. إذا عرفت هذا، فنقول: الإعراب في الاستحقاق داخل على الكلام لما توجبه مرتبة كل واحد منهما .

المبحث الثاني: أسباب التقديم والتأخير.

إن الدارس للنحو العربي لا بد أن يتعرض لمسائلَ تتعلق بـ(التقديم والتأخير)، كتقدم الخبر على المبتدأ، وتقدم المفعول على الفاعل...، إلاَّ أن هذه الظاهرة اللُّغوية ليست متعلقة بالدرس النَّحوي فحسب؛ بل هي متعلقة بالبلاغة بشكل أكبر، ذلك أنَّ للتقديم والتأخير أغراضاً بلاغية متعلقة بالسياق ومقتضياته. والدافع من وراء التَّقديم والتأخير إنَّما يكون للعناية والاهتمام؛ فما كانت به عنايتك به أكبر قدَّمته في الكلام.

ولعل الدكتور: فاضل السامرائي (https://ar.wikipedia.org › wiki) ، هو خير من وضع النقاط على الحروف، فيما يتعلق بأسباب التقديم والتأخير؛ حيث قال: إن تقديم الألفاظ بعضها على بعض له أسباب عديدة يقضيها المقام وسياق القول، يجمعها قولهم: إن التقديم إنما يكون للعناية والاهتمام؛ فما كانت عنايتك به أكبر قدمته في الكلام، والعناية باللفظة لا تكون من حيث إنها لفظة معينة؛ بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال، ولذا كان عليك أن تُقدم لفظة في موضع ثم تؤخرها في موضع آخر؛ لأنّ مراعاة مقتضى الحال تقتضي ذاك. والقرآن الكريم أعلى مثل في ذلك؛ فأننا نراه يُقدم لفظة مرة ويؤخرها مرة أخرى على حسب المقام.

فتراه مثلا يُقدم السماء على الأرض، ومرة يقدم الأرض على السماء، ومرة يقدم الإنس على الجن، ومرة يقدم الجن على الإنس، ومرة يقد الضر على النفع، ومرة يقد النفع على الضر، كل ذلك بحسب ما يقتضيه فن القول وسياق التعبير.

فإذا أردت أن تبين أسباب هذا التقديم أو ذاك، فإنَّه لايصح الاكتفاء بالقول: إنه قدّم هذه الكلمة هنا للعناية بها والاهتمام دون تبيين موطن هذه العناية، وسبب هذا التقديم.

فإذا قيل لك مثلا: لماذا قدَّ الله السماء على الأرض هنا ؟ قلت: لأنَّ الاهتمام بالسماء هنا أكبر.

ثم إذا قيل لك: ولماذا قدم الله الأرض على السماء في هذه الآية؟ قلت: لأنَّ الاهتمام بالأرض هنا أكبر.

فإذا قيل لك: ولماذا كان الاهتمام بالسماء هناك أكبر، وكان الاهتمام بالأرض أكبر؟

وجب عليك أن تُبين سبب ذلك، وبيان الاختلاف بين الموطنين، بحيث تبين أنَّه لا يصح، أو لا يَحْسُنُ تقديم الأرض على السماء فيما قدمت فيه السماء، أو تقديم السماء على الأرض فيما قدمت فيه الأرض بيانا شافيا. وكذلك بقية المواطن الأخرى.

أمَّا أن تكتفي بعبارة أنَّ هذه اللفظة قدمت للعناية أو الاهتمام بها، فهذا وجه من وجوه الابهام. والاكتفاء بها يضيع معرفة التمايز بين الأساليب، فلا تعرف الأسلوب العالي الرفيع من الأسلوب المهلهل السخيف؛ كل واحد يقول لك: إنّ عناية بهذه اللفظة أكبر، دون البصر بما يستحقه المقام، وما يقتضيه السياق (http://afaqattaiseer.net › showthrea).

ولكي نرى أنَّ تقديم اللَّفظ وتأخيره يكون بحسب ما يقتضيه القول، وسياق التَّعبير، تعالوا بنا نأخذ أمثلة نوضح من خلالها أسباب التقديم والتأخير على النَّحو الآتي:

أولا–أسباب نحوية.

أ–الجملة الاسمية، يتقدم الخبر وجوباً في أَربعة مواضع أيضاً:

1–إذا كان من أَسماءِ الصدارة، مثل: متى السفر؟ كم دنانيرك؟ تابع من أنت؟ كيف الحال؟ أين مدرستك؟

2–إذا التبس بالصفة، مثل: عندي مال –ألك حاجة؟ فإذا أخرت الظرف لم يعرف السامع أَأَنت تصف المبتدأ بها وإذاً فلينتظر الخبر، أَم أنت تخبر بها؟ فمنعاً للالتباس وجب تقديم الخبر على الظرف أو الجار والمجرور.

3–إذا كان في المبتدأ ضمير يعود على بعض الخبر، فتقدم الخبر حتى لا يعود الضمير على متأَخر لفظاً ورتبة، مثل: على الخيول فُرْسانُها.

4–إذا قُصر الخبر على المبتدأ بـ(إلا) أَو ما في معناها، مثل: ما كاتبٌ إلَّا أَنت –إنَّما شاعر أَنا ·

ويجوز –أيضا–أن يتقدم الخبر على المبتدأ، إذا أُعرب مخصوص (نعم أو بئس) مبتدأ والجملة قبله: خبر، نحو: نعم الرجل زيد؛ فـ(زيد) رفع بِالِابْتِدَاءِ، وَجملة: نعم الرجل: خَبره (ابن الوراق، ط/1، 294/1).

ب–الجملة الفعلية:

الأصل في الفاعل أن يَتَّصل بفعله، لأنهُ كالجزءِ منه، ثُم يأتي بعدَهُ المفعولُ. وقد يُعكَسُ الأمرُ. وقد يَتقدَّمُ المفعولُ على الفعل والفاعل معاً. وكلُّ ذلك إمَّا جائزٌ، وإمَّا واجبٌ، وإمَّا مُمتنع.

أ–تقديم الفاعل والمفعول أحدهما على الآخر

يجوزُ تقديمُ المفعولِ به على الفاعلِ وتأخيرُه عنه في نحو: كتبَ زُهيرٌ الدرسَ، وكتبَ الدرسَ زُهيرٌ.

ويجب تقديمُ أَحدِهما على الآخر في خمس مسائل:

1–إذا خُشيَ الالتباس والوقوعُ في الشكِّ، بسبب خفاء الإعراب مع عدَمِ القرينةِ، فلا يُعلَمُ الفاعلُ من المفعول، فيجبُ تقديمُ الفاعل، نحو: عَلّمَ موسى عيسى، وأكرمَ ابني أخي، وغلَب هذا ذاك. فإن أُمِنَ اللّبسُ لقرينةٍ دالّةٍ، جازَ تقديمُ المفعولِ، نحو: كرَّمتْ موسى سَلمى، وأَضنتْ سُعدَى الحُمّى.

2–أن يتصلَ بالفاعلِ ضميرٌ يعودُ إلى المفعول، فيجبُ تأخيرُ الفاعل وتقديمُ المفعولِ، نحو: أكرمَ سعيداً غلامُهُ. ولا يجوزُ أن يقال: أكرم غلامُهُ سعيداً، لئلا يلزمَ عَودُ الضمير على مُتأخر، فإنِ اتّصل بالمفعول ضميرٌ يعودُ على الفاعل، جازَ تقديمهُ وتأخيرُهُ فتقول: أكرمَ الأستاذُ تلميذَهُ. وأَكرمَ تلميذَهُ الأستاذُ، لأنَّ الفاعلَ رتبتُهُ التقديمُ، سواءٌ أَتقدّمَ أَم تأخّر.

3–أَن يكون الفاعلُ والمفعولُ ضميرينِ، ولا حصرَ في أَحدهما، فيجبُ تقديمُ الفاعل وتأخيرُ المفعول به، نحو: أَكرمتُه.

4–أَن يكون أَحدُهما ضميراً متصلاً، والآخر اسماً ظاهراً، فيجبُ تقديمُ الضمير منهما، فيُقدّمُ الفاعلُ في نحو: أكرمتُ علياً، ويُقدّمُ المفعولُ في نحو: أكرَمني علي، وجوباً.

(ولك في المثال الأول تقديمُ المفعول على الفعل والفاعل معاً؛ نحو: علياً أكرمتُ. ولك في المثال الآخر تقديم(عليّ) على الفعل والمفعول به، نحو: عليٌّ أكرمني؛ غير أنَّه يكون حينئذ مبتدأ، على رأي البصريين، ويكون الفاعل ضميراً مستتراً يعود إليه. فلا يكون الكلام، والحالة هذه، من هذا الباب، بل يكون من المسألة الثالثة، لأن الفاعل والمفعول كليهما حينئذ ضميران.

5–أَن يكون أَحدُهما محصوراً فيه الفعلُ بـ(إلا أَو إنَّما)، فيجبُ تأخيرُ ما حُصِرَ فيه الفعلُ، مفعولاً أو فاعلاً، فالمفعولُ المحصورُ نحو: ما أَكرمَ سعيدٌ إلا خالداً، والفاعلُ المحصورُ نحو: ما أكرمَ سعيداً إلا خالدٌ. وإنَّما أَكرمَ سعيداً خالدٌ.

والحق أَن ذلكَ كله: ضَرورَةٌ سَوَّغَها ظهورُ المعنى المرادِ ووضُوحهُ، وسَهّلها عدمُ الالتباسِ؛ لذلك اعلم: أَنهُ متى وجبَ تقديمُ أَحدِهما، وجبَ تَأخيرُ الآخر بالضرورة.

ب–تقديم المفعول على الفعل والفاعل معاً.

يجوزُ تقديمُ المفعول به على الفعل والفاعل معاً في نحو: عليّاً أَكرمتُ، وأَكرمتُ عليّاً.

ويجب تقديم أَحدهما على الآخر في أربع مسائلَ:

1–أَن لا يُؤْمنَ اللّبْسُ، فيجبُ تقديمُ ما حقّهُ التقديمُ، وهو المفعولُ الأول، نحو: أَعطيتكَ أَخاكَ، إن كان المخاطَبُ هو المُعطى الآخذَ، وأخوهُ هو المعطى المأخوذ، ونحو: ظننت سعيداً خالداً"، إن كان سعيدٌ هو المظنونَ أنه خالدٌ، وإلَّا عكستَ.

2–أن يكونَ أحدُهما اسماً ظاهراً، والآخر ضميراً، فيجبُ تقديمُ ما هو ضميرٌ، وتأخيرُ ما هو ظاهرٌ، نحو: أعطيتُكَ درهماً، والدرهمَ أعطيتُهُ سعيداً.

3–أن يكون أحدُهما محصوراً فيه الفعلُ، فيجبُ تأخير المحصور، سواءٌ أكان المفعولَ الاولَ أم الثاني، نحو: ما اعطيتُ سعيداً إلا دِرهماً، وما أعطيتُ الدرهمَ إلا سعيداً.

4–أن يكونَ المفعولَ الأولُ مشتملاً على ضمير يعودُ إلى المفعول الثاني، فيجب تأخيرُ الأول وتقديم الثاني، نحو: أعطِ القوسَ باريَها.

فلو قُدِّم المفعولُ الأول لعاد الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، لأن المفعول الثاني رتبته التأخير عن المفعول الأول. أما أن كان المفعول الثاني مشتملاً على ضمير يعود الى المفعول الأول، نحو: أعطيت التلميذَ كتابه، فيجوز تقديمه على المفعول الأول، نحو: أعطيتُ كتابه التلميذَ؛ لأنَّ المفعول الأول، وإن تأخَّر لفظاً، فهو متقدم رتبة (الغلاييني، 233/3).

الخلاصة: من خلال البحث نكتشف أنَّ أسباب التقديم والتأخير، ليست عبثا، وإنَّما وراءها دوافع نذكر منها الآتي:

1–أن يكون ذكر المقدّم أهمّ في نظر مُنشئ الكلام لغايةٍ ما يَرْمي إليها.

2–مُراعاة الترتيب الطبيعي في المعاني.

3–وقد يكون لأغراضٍ ودواعي بلاغيّةٍ معنوية، أو جماليّة لفظيّة...

ج–دواعي وأغراض بلاغية .

يعدُّ التقديم والتأخير من الموضوعات التي نالت حظا وافرا من الحديث سواء من قبل النحويين أو من قبل البلاغيين الذين أولوها اهتماما زائدا لشرف اللغة التي يدرسون نظمها وتركيبها؛ لذلك كانت هناك العديد من الأسباب والدواعي لتقديم المسند على المسند إليه، لعلَّ السبب المقدم عليها جميعا أنَّ ذكره أهم من ذكر غيره، لكونه:

أ–الأصل ولا مقتضى للعدول عنه.

ب–لتمكين الخبر في ذهن السامع لأن في المبتدأ تشويقا إليه.

ت–لتعجيل المسرة أو المساءة للتفاؤل أو التطير.

ث–لإيهام أنه لا يزول عن الخاطر، أو أنه يستلذ به، وقد يقوم المسند إليه بنحو ذلك من الأغراض.

ج-قد يقوم المسند إليه بغرض تخصيصه بالخبر الفعلي، وقصر هذا الخبر عليه ...(https://www.faouaid.com)

وعلى هذه الأسباب مدار التقديم والتأخير، وقد تكون هنالك أغراض أخرى تدعو إلى التقديم أو التأخير، ومن هذه الأغراض نوضَّح ما يلي:

أولا-التخصيص والقصر:

نحو قوله تعالى:﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ ﴾ (سورة الروم، من الآية: (4).

هذه جملة اسمية، والأصل فيها: تقديم المسند إليه، وقُدّم فيها المسند لإفادة التخصيص، أي:

الحصر، وإليك التحليل:

المسند .... المسند إليه.

لِلَّهِ ... . الأَمْرُ.

اللَّام، بمعنى: الملك. والجار والمجرور: متعلقان بخبر مقدم مقدّر. والمعنى: اختصّ مِلْكُ الأمر بالله؛ أي: كلّ الأمر مقصور ملكه على الله سبحانه، لا يتعدّاه إلى غيره (الدمشقي، ط/1، 378/1).

ونحو قول الله-عزّ وجلّ-بشأن عباد الله المخلَصِينَ في جنّات النعيم:

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ، بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾. (الصافات، الآية: **(54-74)**.

معاني الكلمات:

غَوْل: الْغَوْلُ ما يُحدثه شرب الخمر من صُداع وسُكر. والغَول: الإهلاك، يقال: غاله غَوْلاً إذا أهلكه.

يُنْزَفُون: يَسْكَرُون -تذهبُ عقولهم، يقال لغة: شرب خمراً فأنزف؛ أي: سَكِر، أو ذهب عقله.

الشاهد: (لاَ فِيهَا غَوْلٌ) قُدّم المسندُ هو (فِيهَا) المتعلق بخبر محذوف مقدر، وأخِّر المسند إليه وهو (غَوْلٌ) لإفادة التخصيص، أي: خمر الجنّة مخصوصة بنفي الغَول عنها بخلاف خمر الدنيا، فنفي الْغَوْلِ مقصورٌ على خمر الجنة لاَ يَتَعَدَّاها إلى غيرها من الخمور، وهي خمور الدنيا. وكذلك تقديم:

المفعول به نحو، قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (من سورة الفاتحة، الآية: **(5)** ؛ أي: نخصك بالعبادة فلا نعبد

غيرك. وتقديم الخبر، كقوله تعالى﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ (من سورة مريم، الآية: (46) ، مَا أَفادتْ زيادة الإنكار عَلَى إبراهيم.

وأما تقديم الظرف، ففيه تفصيل:

أ- فإن كان في الإثبات، دل على الاختصاص، كقوله تعالى:﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾، فإن ذلك يفيد اختصاص ذلك بالله...

ب- وإن كان في النفي، فإن تقديمه يفيد، (تفضيل المنفى عنه) كما في قوله تعالى:﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾(سورة الغاشية، الآيتان: 25،26) ؛ أي: ليس في خمر الجنة ما في خمرة غيرها من الغول.

ت- وأما تأخيره، فإنَّها تفيد (النفي فقط) كما في قوله تعالى:﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، (من سورة البقرة، الآية: (2) فكذلك إذا قلنا: (لا عيب في الدار كان) معناه: نفي العيب في الدار، وإذا قلنا: (لا في الدار عيب) كان معناه: أنها تفضل على غيرها بعدم العيب. (الزركشي، 3/236-286)

ثانيا-لكونه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه؛ كتقديم: الفاعل على المفعول، والمبتدأ على الخبر، وصاحب الحال عليها، نحو: جاء زيد راكبا (الزركشي ، 3/233)

أو لأن ذكره أهم؛ وذلك حسب اعتناء المتكلم أو السامع، وقد مثلوا لذلك بقولهم: قتل الخارجي فلان؛ لأنَّ قتل الخارجي، هو: الأهم، لا مَنْ قتله. وكأن يقال: قتل اللصَّ شرطيٌّ؛ فإن خشية النَّاس من اللَّص تجعل نبأ قتله عندهم هو: المطلوب، لا مَنْ باشر القتل.

وإمَّا لأنَّ في التأخير إخلالاً بالمعنى. ومثلوا له بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾. (من سورة غافر، الآية: (28)

فلو أخر (مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) عن (يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) لوَقع في الوهم أنَّه صلة. فلم يفهم أنَّ ذلك الرجل من آل فرعون، وهو: المطلوب.

فقد ذكرت الآية للرجل ثلاثة: أوصاف. فقدَّم (الإيمان)؛ لأنَّه أشرفها. وأُخَّر (يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) لأنَّ في تقدمه على الثاني خللا بالمعنى، وهذا توجيه سديد ليس عليه اعتراض (المطعني، ط/1، 2/98)

ثالثا-أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب، فيقدم لمشاكلة الكلام ولرعاية الفاصلة، كقوله تعالى:﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾، (سورة طه، الآية: (79) فالتقديم والتأخير لهذه الصياغة التي يعنى بها القرآن، وهي إحدى وسائل تأثيره في النفس، وأصل الجملة: فأوجس موسى في نفسه خيفة، وإذا أنت قرنت هذا التعبير بالآية السابقة واللاحقة، وجدت خروجا على النسق، ونُفرة لا تلتئم. (البدوي، 1/91)

حيث قُدِّم المفعول: (خِيفَةً) والجار والمجرور: (فِي نَفْسِهِ) على الفاعل؛ لأنَّه لو قُدم عليهما، فقيل: (فأوجس موسى في نفسه خيفةً)، أو (فأوجس موسى خيفةً في نفسه)، لكان في ذلك خروج على النَّسق الصَّوتي، وإخلال بموسيقى النَّظم، وما لها من وَقْع في النَّفس وأثرٌ في المعنى. (كود المادة: LARB4103، ا 1/343.)

رابعا-التشويق إلى المتأخر:

ثلاثة ليس لها إيَّاب ... الوقت، والجمالُ، والشبابُ. نلحظ في البيت السابق أنَّه: قُدِّمَ الخبر وأخر المبتدأ؛ تشويقاً إلى المتأخر. (السَّراج، ط/1، 1/165.)

خامسا–تقوية الحكم وتقريره لدى السامع بدون تخصيص، كقولك: هو يعطي الجزيل، وهو يحب الثناء. ألا ترى أنك لا تريد أن غيره لا يُعطي الجزيل ولا يُحب الثناء. وتارة يفيد التقوية نحو: أنت لا تكذب، وعليه قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ (سورة النور الآية: **(59)** (القزويني، 103/1)). ،

سادسا: للتقديم والتأخير في القرآن الكريم أسرار بلاغية منها: التبرك، والتعظيم، والتشريف ...، نوضحها على النحو التالي:

أ–التبرك: كتقديم اسم الله تعالى في الأمور ذات الشأن، نحو قوله تعالى:﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾. (من سورة الأنفال، الآية: **(41)**.

ب–التعظيم، نحو قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾. (من سورة الأحزاب، الآية:**(56)**.

ج–التشريف؛ كتقديم الذَّكر على الأنثى؛ نحو:﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ ، (من سورة الأحزاب، الآية: **(35)** (https://ar.wikipedia.org › wiki))

مالا يجوز فيه التقديم والتأخير:

أسلوب التقديم والتأخير يُعد من خصائص اللغة العربية، وهو أصدق دليل على أهمية الإعراب الذي لولاه لأصبحت اللغة جامدة، ولفقدت حريتها في التَّعبير، إلاَّ أنَّ هناك حالات لا يجوز فيها التقديم والتأخير، وهي:

1–الصلة لا تقدَّم على الموصول.

2–الصلة لا تُقدَّم على الموصوف.

3–المضاف إليه لا يُقدَّم على المضاف.

4–الفاعل لا يقدَّم عل الفعل.

5–معمول الأفعال غير المتصرفة لا يُقدَّم عليها.

6–معمول الصفات المشبه بالفعل، وأعمال الفاعلين لا يُقدَّم عليها.

7–التمييز لا يُقدم على ناصبه.

8–الحروف التي تدخل على الأسماء كحروف الجرّ، وإنَّ وأخواتها، وغيره لا يقدم عليه معمولها.

9–الحروف التي لها الصدارة، كالاستفهام، والنفي، ولام الابتداء، لا يقدم ما بعدها عليها.

10–لايقدم المضمر على الظاهر في اللفظ والمعنى.

11–لا يفرَّق بين العامل والمعمول فيه بما ليس للعامل فيه سبب، وهو غريب عنه.

12–التقديم ألبس على السامع انَّه مقدم.

13–إذا كان العامل معنى الفعل، ولم يكن فعلاً لا يقدم معموله عليه. (البغدادي، ط/2،3/222)

وبهذا يتضح لكل ذي بصيرة أنَّ التقديم والتأخير، قد لا يصح في كثير من المواضع، ألا ترى أنَّك لا تقول: ضرب غلاما زيدا؟ إذْ يلزم الاضمار قبل الذكر لفظا وتقديرا، فتدعو الحاجة إلى التقديم. وكذلك قولك: ما أحسن زيدا! فـ(ما) في الأصل: فاعل. ولا يصح تقديم الفعل عليه. (العكبري، ط/1، 94/1)

حسن الرصف، وسوء الرصف في التقديم والتأخير:

أ-المقصود بحسن الرصف: أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتمكن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير والحذف والزيادة، إلا حذفا لا يفسد الكلام ولا يعمي المعنى، ويضم كل لفظة منها إلى شكلها، وتضاف إلى لفقها.

ب-أمَّا سوء الرصف، فهو: الرصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها، وصرفه عن وجوهها، وتغيير صيغتها، ومخالفة الاستعمال في نظمها.

ولهذا قيل: الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، وإنما نراها بعيون القلوب، فإذا قدمت منها مؤخرا، أو أخرت منها مقدما، أفسدت الصورة، وغيرت المعنى، كما لو حُوِّل رأس إلى موضع يد، أو يد إلى موضع رجل، لتحولت الخلقة، وتغيرت الحلية. وقد أحسن في هذا التمثيل. (https://al-maktaba.org › book)

ولهذا نرى جبر ضومط (https://ar.wikipedia.org › wiki ›)، يقول: فإذا راعيتَ هذه الأغراض: المحافظة على حُسن الرصف والفاصلة، فقدِّمْ ما شِئت وأخِّرْ ما شئت، على شرط ألاّ يقعَ التباسٌ في الجملة... ولذلك لا يصحّ في جملة (لو اشتريت لك بدرهم لحماً تأكلينه) تأخير الجار والمجرور الأول، وتقديم الثاني عليه، ولا في جملة قوله تعالى:﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾(سورة القصص، الآية: (20)، أنْ تؤخّر المجرور أصلاً؛ لأنّ التأخير يؤدّي في الحالين إلى الالتباس. (http://www.m-a-arabia.com › archive › index.php)

وبهذا يُعدّ التّقديم والتّأخير من مصادر اللّبس الكبرى، فالأصل فيه عدم اللّبس؛ لذلك كان من وصايا النقّاد للكتّاب أَنْ يتجنّبوا ما يكسب الكلام تعمية، فيرتّبوا ألفاظهم ترتيباً صحيحاً، ولا يكرهوا الألفاظ على اغتصاب الأماكن؛ أمّا إذا خيفَ اللّبس وهدّد القصد وأمكن للسّامع أَنْ يحمل الخطاب على غير المراد، فينتقض العهد وينحلّ العقد وتتبدّل القضيّة والحكم، فلا مناص من إيفاء اللّغة أقدارها وإحلال الكلمات محالّها.

الخلاصة:

لم يتعرّض النحويّون للتَّحديد، بل أجازوا أن يكون كلٌّ منهما هو المبتدأ وأن يكون الخبر، ويُعْرِبُون المقدّم مبتدأً، والمؤخّر خبراً.

لكن البلاغيّين بحثوا الأمر بحثاً فكريّاً منطقيّاً دقيقاً، ناظرين إلى حال المخاطب، وما هو الأعرف لديه من ركني الإسناد اللّذين هما من المعارف، فأيّ المعرفتين هو الأعرف بالنسبة إليه، وحالتُه تتطلّب مزيداً

من العلم عنه يُجْعَلُ هو المبتدأ، والركن الآخر يُجْعَلُ هو الخبر، وتُرَتَّبُ له الجملة بتقديم المبتدأ وتأخير الخبر.

وبهذا يصبح من المعلوم أنه لا يمكن النطق بأجزاء الكلام دفعة واحدة، بل لا بد من تقديم بعض الأجزاء وتأخير البعض، وليس شيء منها في نفسه أولى بالتقديم من الآخر؛ لاشتراك جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ في درجة الاعتبار، فلا بد لتقديم هذا على ذاك من داعٍ يوجبه.

التقديم والتأخير بين الحقيقة والمجاز:

في نهاية البحث بقي سؤال، هل التقديم والتأخير من الحقيقة أو المجاز؟

اختلف العلماء حول كون أسلوب التقديم والتأخير من ألوان الحقيقة أو المجاز، والرَّاجح أنَّه من باب الحقيقة؛ لاقتصاره على نقل موضعي.

قال الإمام الزركشي: "وقد اختلف في عده من المجاز، فمنهم من عدَّه منه؛ لأنَّه تقديم ما رُتبته التأخير كالـ(مفعول)، وتأخير ما رتبته التقديم كـ(الفاعل) نقل كل واحد منهما عن رتبته وحقَه. والصحيح: أنَّه ليس منه، فإنَّ المجاز نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع" (الزركشي، 223/3)

قائمة المصادر والمراجع:

1. الأصول في النحو، أبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/3، تح: عبد الحسين الفتلي، 222/2.
2. الأعلام، خير الدين، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط/15، 81/5.
3. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط/4، 61/1، وعلوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع، أحمد بن مصطفى المراغي، 103/1.
4. البرهان في علوم القرآن أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، تج: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/1، دار إحياء الكتب العربية.
5. البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط/1، 378/1.
6. البلاغة المعاني، كود المادة: LARB4103، ا بكالوريوس، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية، 343/1.
7. جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط/8، 183/2-15/3.
8. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى)، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، ط/1، 98/2.

9. دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني الدار، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط/3، 106/1.
10. دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت ط/1، تح:التنجي،96/1.
11. صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، 1978، تح: عبد الجبار زكار، 48/3.
12. طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، عالم الكتب – بيروت ط/1، تح: الحافظ عبد العليم خا ، 149/5.
13. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، دار مكتبة العلوم والحكم – السعودية، ط/1، تح: سليما بن صالح الخزي، للداودي 302/1
14. علل النحو، محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق، تح: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض / السعودية، ط/1، 294/1.
15. عيسى البابي الحلبي وشركائه، ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان،233/3.
16. اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السَّراج تح: خير الدين شمسي باشا، دار الفكر، دمشق، ط/1، 165/1.
17. مسائل خلافية في النحو، أبي البقاء العكبري، دار الشرق العربي، بيروت، ط/1، تح: محمد خير الحلواني، 94/1.
18. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط/1، مادة: ق.م.
19. من بلاغة القرآن، أحمد عبد الله البيلي البدوي، نهضه مصر، القاهرة، 91/1.
20. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر–بيروت، ط/1، 464/3.
21. http://afaqattaiseer.net › showthrea، يوم الإثنين، السادسة مساءً.
22. http://www.m-a-arabia.com › archive › index.php، يوم الأربعاء، الساعة، العاشرة والنصف، مساءً.
23. https://al-maktaba.org › book، يوم الأربعاء، الساعة: التاسعة مساءً.
24. https://www.faouaid.com › 2020/04Traduci questa pagina يوم الأحد، الساعة: 1ظهرا.